

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٩١ : خ ١ - مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ١ ، خ ٢ - كلمة لأحد العلماء متعلقة بسيرة النبي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٠٦-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشده، ونحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مُضل له، ومن يضل فلن تجد له ولِيًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلم عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتَنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمْنَا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

نعمتان عظيمتان هما من فضل الله على المسلمين :

أيها الأخوة الكرام، ونحن في ذكرى مولد سيد الأنام هناك نعمتان عظيمتان هما من فضل الله على المسلمين، هاتان النعمتان مما اختصت بهما هذه الأمة الطيبة، النعمة الأولى وقد لا نعرف قيمتها إلا إذا دخلنا في البحث في أديان أخرى، نعمة خلود القرآن الكريم، نعمة خلود مصادر الدين، إن هذه المصادر محفوظة بحفظ الله عز وجل بأمر تكويني لا بأمر تكليفي كالكتب السابقة، كلف أصحاب الديانات السابقة أن يحفظوا كتبهم لكنهم لم يحفظوها بل بدلوها وغيروها لكن حفظ كلام الله عز وجل كان بأمر تكويني تولى بذاته جل جلاله حفظ كتابه الكريم.

ليس بعد النبي هذه الأمة من النبي، ولا بعد قرآنها من قرآن، ولا كتاب، ولا بعد دينها من شريعة.

أيها الأخوة الكرام، يقول الله جل جلاله :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[سورة الحجر: ٩]

والقرآن الكريم هو المصدر الأول لهذه الأمة، والمتبوع الأول لعقيدتها، والمتبوع الأول لشريعتها وسلوك أبنائها، وقد أكد الواقع التاريخي تحقيق هذا الوعد الإلهي فقد مضى أربعة عشر قرناً أو يزيد على نزول هذا القرآن وهو هو كما أنزله الله، وكما تلاه رسول الله على أصحابه الكرام، وكما كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، تتناقله الأجيال محفوظاً في الصدور، متلواً بالألسنة، مكتوباً بالمصاحف. هذه نعمة لأننا ألقيناها، لأننا عشناها قد لا نعرف قيمتها، لو دخلنا في بحث في الأديان الأخرى لرأينا العجب العجاب.

أيها الأخوة الكرام، وحفظ القرآن كما نبه الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى يتضمن حفظ السنة كذلك لأنها البيان النظري والعملي للقرآن، ولأن حفظ المبين يتضمن حفظ البيان، فالله جل جلاله من خلال قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[سورة الحجر: ٩]

تولى حفظ كتابه، وتولى حفظ سنة نبيه، لكن ليس معنى الحفظ ألا تجري محاولات للتبدل والتغيير ، لا ولكنها لا تنجح.

والنعمة الثانية العظيمة هي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سيرة متميزة لها خصائصها التي بينها العلماء، هي سيرة علمية مدونة، وسيرة تاريخية ثابتة، وسيرة مكتملة الحلقات من الولادة إلى الوفاة.

هي سيرة شاملة جامعة تجسد حياة النبي صلى الله عليه وسلم في وقائع وأحداث ناطقة معبرة، هذه الحياة المتكاملة المتوازنة التي نجد فيها الإسلام حياً والقرآن مفسراً والقيم الإسلامية تسعى بين الناس على قدمين، هذه الحياة هي التطبيق العملي للقرآن الكريم كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم:

((كان خلقه القرآن))

[مسلم عن عائشة]

إنه قرآن يمشي، هذه الحياة التي يجد فيها كل مسلم أسوته المثلى ومثله الأعلى، فقد أدبه ربه أحسن التأديب، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، وامتن عليه أيضاً بهدایة المؤمنين إذ بعثه رسولاً فيهم، قال تعالى :

﴿يَتُلَوُ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٥١]

السيرة النبوية سيرة حية نابضة شاملة لكل مراحل الحياة :

أيها الأخوة الكرام، لا يوجد عند غير المسلمين مثل هذه السيرة الحية النابضة الشاملة لكل مراحل الحياة، وكل جوانب الحياة كما تصور ذلك كتب الشمائل النبوية، وكتب الهدي النبوي في المأكل والمشرب والملبس، والزينة، وفي النوم واليقظة، وفي الحضر والسفر، وفي الضحك والبكاء، وفي الجد واللهو، وفي العبادة والمعاملة، وفي الدين والدنيا، وفي السلم وال الحرب، وفي التعامل مع الأقارب والأبعد، مع الأنصار والخصوم، حتى النواحي التي يسميها الناس علاقات حميمة في معاشرة الزوجات كلها مروية محفوظة بهذه السيرة.

إنها منهج كامل، أقواله منهج، وأفعاله منهج، نحن في ذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام. أيها الأخوة الكرام، الحق أن المثل التطبيقي الأعلى للتكامل والتوازن بين المثال والواقع،

التوازن، الوسطية، الاعتدال بين المثل والواقع، بين القلب والعقل، بين الإيمان والعلم، بين الروح والمادة، بين الفردية والجماعية، بين حق الرب وحق النفس، وإعطاء كل ذي حق حقه بلا طغيان، هذا المثل الحي المتوازن المتكامل المعتمد الوسطي هو سيرة النبي عليه الصلاة والسلام إليكم بعض التفاصيل.

من زاوية العبادة كان عليه الصلاة والسلام يعبد ربه حق العبادة، كان العابد الأول الذي كانت قرفة عينه في الصلاة، كان يقوم الليل حتى تنفترق قدماه، ويبكي حتى تبل دموعه لحيته، وتعجب زوجته عائشة من شدة تعبده وبكائه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول لها: أفلأكون عبداً شكوراً؟

وكان يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع غالباً، وأحياناً يديم الصيام حتى يظن من حوله أنه يصوم الدهر كله، وأحياناً يواصل الليل بالنهار في الصيام فيمضي يومين أو أكثر لا يتناول طعاماً بعد الغروب وقد نهى أصحابه عن ذلك فلذلك قال له أصحابه: أتهانا عن الوصال وتواصل؟ فقال: وأيكم مثلي؟ إنني أبیت عند ربی يطعنی ويسقینی. وكانت من خصوصياته صلى الله عليه وسلم كان دائم الذكر لله تعالى في كل أحواله وعلى كل أحيانه بقلبه ولسانه وأذكاره وأدعيته ومناجاته لربه، يتحلى فيها أغنى قيم الصدق والإخلاص لله تعالى، ويتحلى فيها العبودية الخالصة لله تعالى، إنها تمثل أروع المعاني وأوضح الطموحات التي ينبغي أن ينشدتها الإنسان الرباني لنفسه ولمن يحب مصوغة في أحلى القوالب البلاغية، وأذنب الأسلوب البيانية التي تهز كينونة البشر من أعماقها، أدعيته وحدها مدرسة روحية كاملة، وقد حفلت بها كتب الحديث والسيرة وألفت فيها كتاباً خاصة قديماً وحديثاً.

تعبد النبي لربه و اشتغاله بذكره :

أيها الأخوة الكرام، كان صلى الله عليه وسلم على الرغم من تعبده لربه، واحتلاله بذكره، وفي أيامه الدائم للدعوة إلى دينه، والجهاد في سبيله، دائم الخشية له سبحانه، كثير الاستغفار، كثير التوبة، وهذا من كمال عبوديته، وعظم مقام الألوهية عنده، عن الأغرِ المُزَّنِيِّ وكانت له صحبة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَا سَتَغْفِرُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ))

[مسلم عن الأغرِ المُزَّنِيِّ]

أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله عز وجل في اليوم مئة مرة. وكان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا، وأرضاهم باليسير منها مع ما فتح الله له من الفتوح، وأفاء عليه من الغنائم، وبعد أن أصبح سيد الجزيرة، ولكن له لقي ربه ولم يسبع من خنز الشعير ثلاثة أيام متواصلة، وكان الشهر يمر تلو الشهر ولا يوقد في بيته نار إنما عيشه على الأسودين التمر والماء. وكان ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه الشريف، رآه عمر مرة كذلك

فبكي توجعاً له وإشفاقاً عليه، واقتصر عليه بعضهم أن يهينوا له فراشاً ألين من هذا، فقال لهم: مالي وللنهاي ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها.

((رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال : يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال : ما لي وللنهاي؟ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها))

[أحمد عن ابن عباس]

إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم :

أيها الأخوة الكرام، هذا عن تعبده فماذا عن بشريته؟ كان صلى الله عليه وسلم مع هذه الروحانية العالية في ذكره، وشكره، وحسن عبادته لربه، وفي زهذه في دنيا الناس، وعيشها فيها بشعور غريب وعابر سبيل لم يغفل الجوانب الأخرى من الحياة بما تفرضه من أعباء وما تمثله من مطالب، لم ينس أنه إنسان، وزوج، وأب، وجد، و قريب، وجار، وصديق، ورئيس، وقائد، وإن كل علاقة من هذه العلاقات لها حقوقها ولها واجباتها.

رأينا إنساناً يرضي كما يرضي البشر، ويغضب كما يغضب البشر، ويفرح كما يفرح البشر، ويحزن كما يحزنون، ولكنه إذا رضي لن يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لن يخرجه غضبه عن الحق، وإذا فرح لم يفرح لغير الحق، وإذا حزن لن يخرجه حزنه عن الصبر والرضا، يشارك أصحابه في مسراتهم، ولا يخرجه ذلك عن الوفار، ويضحكه بعض أصحابه فيضحك، ويمزح أحياناً، ولكنه لا يقول إلا حقاً.

أيها الأخوة الكرام، هذا عن إنسانيته فماذا عنه كزوج مثالي؟ رأينا زوجاً يحسن عشرة أزواج، ويعدل بينهن فيما يقدر عليه، ويطيب أنفسهن، ويصالح بينهن، ويقدر الظروف الخاصة لكل منها، ويستمع أحياناً إلى قصصهن وإن طالت كما في حديث أم زرع وعلى الرغم من همومه ومشاغله التي تتلوء بها الجبال يداعب ويمازح، كما رأينا يسابق عائشة فتسقه مرةً ويسبقها أخرى، فيقول لها: هذه بتلك أي تعدل. أما أن يكون أباً وجداً صلى الله عليه وسلم فرأينا أباً يحب أبناءه وبناته، يحرص على كل خير لهم في الدنيا والآخرة، مات ابنه إبراهيم فحزن عليه ودمعت عيناه ولم يجد في ذلك ما ينافي الصبر والرضا بل قال:

((...إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إنما يرضي ربنا، وإنما بفرائك يا إبراهيم لمحزونون))

[منطق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

وحين أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج على فاطمة الزهراء ابنة أبي جهل فيما تروي الروايات غصب النبي عليه الصلاة والسلام وقال: إن فاطمة بضعة مني، وأنا أتخوف أن تفتني

في دينها، وإنني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً.

رأينا جدأ يلاعب سبطيه الحسن والحسين، ويصطدم لهم ظهره ليركباه، بأبي هو وأمي، يركب أحدهما على ظهره الشريف مرة وهو يصلی فيطيل الصلاة حتى ظن الصحابة الظنون فلما فرغ وسلم سأله عن سر إطالة السجود فقال:

((إن ابني ارتاحني - أي اتخذني راحلة لركوبه - فكرهت أن أجعله))

لم يشأ أن يقطع على الصغير لذته في امتطائه ظهر جده، ويقول عن الحسن والحسين: "هما ريحانتي من الدنيا" .

علاقته صلى الله عليه وسلم بأقربائه وأصدقائه :

وأما علاقته بأقربائه فرأينا يرعى حق الرحم والقرابة ولو كان أهلها مشركين ويقول لقريش: إن لكم رحمة أبواها، وحين تمكن منهم يوم الفتح بعد طول ما جر عوه من العلقم والصبر قال لهم في تسامح القوي:

((اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

بل كان يكرم أقارب أبيه من بني النجار، وأقارب أمه من بني زهرة مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي عرف بأنه خال النبي صلى الله عليه وسلم، كلما دخل عليه يقول:

((هذا خالي أروني خالاً مثل خالي))

بل إنه يرعى حق الجار، وإن ظلم وجار، وإن كان يهودياً من أهل الكتاب، فعن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظنت أنه يورثه))

[متفق عليه عن عائشة]

رأينا صديقاً يرعى حقوق الصداقة والصحبة لهذا غضب حينما أغضب بعضهم أبا بكر فقال:

((اتركوا لي صاحبي))

وقال:

((لو كنت متخدناً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحب))

وكان أوفي الناس بأصحابه وكل من تربطه به أو بأهل بيته صلة حتى كان يكرم بعض العجائز، ويبش لهن، ويهدى إليهن، فسئل في ذلك فقال: إن هذه كانت صديقة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان.

النبي الكريم داعمة القوة العسكرية :

وكان رئيس دولة، رأيناه رئيساً لدولة جديدة تحبط بها العداوات من كل جانب، عداوات وثنية وبهودية وما إلى ذلك فلم يشغلهم همّ الجهاد والإعداد لمقاومة الأعداء عن العناية بالشؤون الداخلية لأهلها من بناء المسجد للصلوة، إلى إقامة السوق للتجارة، من إقامة العلاقات السياسية بين الطوائف التي تسكن في المدينة وهي دار الإسلام، وكان هناك عهد على أساس واضح مكتوب في وثيقة دستورية معروفة، إلى العناية بأمر هرة من رعيته حبستها امرأة حتى ماتت جوعاً فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض فما قولكم بما فوق الهرة؟؟ ولقد أرسل الكتب إلى ملوك الأرض المعروفين، اهتم بأمر أمّة طفلة صغيرة تأخذ بيده وتمضي في طرقات المدينة فلا يدع بيده من يدها تواضعاً وحياءً من الله عز وجل حتى تقضي حاجتها.

وكان قائداً عسكرياً رأيناه قائداً يخطط للمعارك قبل وقوعها، ويبعث الطلائع والعيون لاستطلاع أخبار العدو، يقوم بعمل أول إحصاءٍ لقوّة الضاربة عنده حتى يكون تخطيطه على أساس علمي متين، ويبحث على التدريب واستمراره فهو داعمة القوة العسكرية، فعن أبي علي ثمامة بن شفي^١ الهمدانى أنه سمع عقبة بن عامر الجهنى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول:

((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْنُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيُّ))

[مسلم عن أبي علي ثمامة بن شفي الهمدانى]

وهذا المقياس في السلاح خالد إلى يوم القيمة، قوّة السلاح من دقة إصابته وهذا ما يتباهى به أعداء اليوم ويقول عليه الصلاة والسلام:

((من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا))

[مسلم عن عقبة بن عامر]

وفي رواية عن المغيرة بن نهيك أنه سمع عقبة بن عامر الجهنى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني))

[مسلم عن المغيرة بن نهيك]

وهو مع قوّة توكله على الله يلبس للحرب لبوسها، حتى إنه في إحدى المعارك ظاهر بين درعين، ويعلم أصحابه أن الحرب خدعة، وأن للعوامل النفسية أثرها في كسب المعارك، فلابد من العمل على تخذيل الأعداء وتفريق كلمتهم.

اعتماده صلى الله عليه وسلم على حسن التخطيط والتنظيم :

وكان يعتمد بعد الله تعالى على حسن التخطيط والتنظيم والإعداد حتى أنه ليفاجئ أعداءه بخطط لم يعهدوها فيركهم، ويعرف قدرات أصحابه فيضع كل في موضعه المناسب، ولا غرو أن القيادة

في عهده كانت قيادةً فذةً، فأبُو عبيدة وسعد وخالد كانوا تلاميذَ بين يديهِ، وكان من أعظم المتكلمين، رأيناه يرعى سننَ الله، ويأخذ بالأسباب، ويعد العدة، ويتوقي الخطر، ويأمر بأخذ الحذر، ويعلم بالإحصاء، ويخطط للمستقبل، ويرتب، ويفكر قدر ما يستطيع البشر، لكنه لا يغفل أبداً عن التوكل على الله، ولا ينسى أن الأمر كله بيدِهِ وخصوصاً ساعة الشدائِد، وحصار الأزمات، وهنا تراه أكبر ما يكون ثقةً لله واعتصاماً به وفراراً إليه.

رأينا خبط ورتب ونظم كل ما يتعلق بهجرته إلى المدينة، فلما وقف المشركون الذين يطاردونه على باب الغار الذي يختبئ فيه وقال له صاحبه ورفيقه مشفقاً عليه: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا، قال في ثقةٍ ويقين: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ حينما تبعه سراقة النبي الكريم كان مهور الدم، قد وضع قريش مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، تبعه سراقة، فقال: يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ معنى ذلك أنه موقن أنه سيصل وسيؤسس دولةً، وسيحارب الفرس، وسينتصر عليهم، وسيأتي بغنائمهم، وسيلبس سراقة سواري كسرى، مع كل أخذة بالأسباب كان متوكلاً من الطراز الأول، يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ويتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء. ومع ذلك كان هذا النبي الكريم قائماً بعمارة الأرض نجده مع إقباله بكليته على الآخرة، وإعراضه عن الدنيا وزينتها، وتصویره الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كما يجعل الإنسان أصعبه في اليم فلينظر بم يرجع؟ لم يعش بالدنيا عيشة الرهبان الرافضين لها المعادين لكل ما فيها بل كان يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الإنسان مستخلف فيها، وأن له فيها مستقراً ومتاماً إلى حين، وأن عمارة الأرض من مقاصد التكليف، وأن هذه العمارة تتمثل في الزراعة، والغرس، والصناعة، والاحتراف، والتجارة، وأن هذا كله إذا أداء الإنسان بأخلاقه، وبنية خدمة المسلمين انقلب إلى عبادة.

أيها الأخوة الكرام، كان يدعونا إلى أداء الواجبات بلا خيانة ولا غش ولا إهمال، أبقى أصحابه في حرفهم لم يخرج واحداً منهم عن حرفه ليفرغ للعبادة وحدها، إنما دعاهم أن يتقربوا إلى الله بإحسان أعمالهم، إن الله كتب الإحسان على كل شيء.

النبي الكريم قدوة لأصحابه وأسوة لهم في كل مناحي الحياة :

كان صلى الله عليه وسلم لم يرفض طيبات الدنيا إذا توافت له، بل إذا وجدها تناولها وحمد الله تعالى، وإذا لم يجدها لم يتكلفها، ولم يحزن على فقدها، كان يعجبه من الطعام اللحم، ويعجبه منه لحم الدراع، ويعجبه من الشراب اللين، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أطعمنه الله طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللين))

[الترمذى عن ابن عباس]

وكان يستعبد له الماء، ويضع فيه بعض التمرات لتخفيض ملوحته، وكان يلبس من الشياطين ما تيسر لا يتلزم زياً ولا هيئة معينة، يختص ببعض الحل ليوم الجمعة والعيدان، كان يحب أن يكون مظهراً حسناً إذا لقي الوفود، يحب الطيب، ينظر إلى المرأة فيقول:

((اللهم كما حست خلقي فحسن خلقي))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن ابن مسعود]

كان يوصي أصحابه بالنظافة والتجميل حتى يكون أحدهم حسن المظهر، طيب الرائحة، لا يحب أن يدخل عليه أحدهم ثائر الرأس كأنه شيطان، فعن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيَكُرِمْهُ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

كان يوصي بنظافة أشياء معينة كالأسنان ولذلك حضن على السواك، فعن عائشة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((السَّوَاكُ مَظْهَرَةٌ لِّفَمِ مَرْضَأَةِ رَبِّ))

[البخاري عن عائشة]

وقد أكد على العناية بالجسم كلها فقال عليه الصلاة والسلام:

((حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

وضرب لأصحابه المثل في ذلك، وكان نعم الأسوة لهم، علمهم أن الدين لا يضيق بالتجميل، التجميل من الدين وإن الله جميل يحب الجمال. رأيناها يتداوى، ويأمر أصحابه بالتداوي، ويعلمهم أن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجنه من جنه.

ويصف بعض الأدوية لبعض الأمراض حسبما تعلمه من البيئة غالباً، ولكنه في جوار هذا يستخدم الأدوية الروحية كالصدقة والرقية.

الناس على اختلاف أنماطهم يجدون في سيرة النبي قدوة لهم :

أيها الأخوة الكرام، الفقير يجد في سيرته قدوة له حينما كان يشد حبراً على بطنه من الجوع، والغني يجد أيضاً فيها قدوته يوم وسع الله عليه، ووضع بين يديه الأموال، منها ما هو للدولة، ومنها ما هو خاص له.

الحاكم والمحكوم يجد في سيرته قدوة له، المحارب والمسلم، الأعزب والمتزوج، ذو الزوجة الواحدة ذو الزوجات المتعددات، الأب والجد، الشاب والشيخ، السليم والمسقيم، المقيم والمسافر، المعافي والمبني، وغير هؤلاء وهؤلاء، كلهم يجدون في حياته الخصبة، وفي سيرته الحافلة، وفي سنته الهدية متسعأً لهم، ليقتدوا منه، ويهتدوا بنوره، في حالات الرخاء واليسر وحالات الشدة والعسر، في حالات الانتصار وفي حالات الانكسار.

أيها الأخوة الكرام، لكن العيب في معظم أتباعه من بعده أنهم أخذوا جانباً من سيرته وضخموه، وأهملوا الجوانب الأخرى فتطرفوا وغالوا بالأمر.

أيها الأخوة الكرام، نحن في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم هذه جوانب شخصيته، وهذه أخلاقه، وهذا منهجه الحكيم، فإذا أردنا أن نستعيد دورنا القيادي في الحياة، إذا أردنا أن يهابنا أعداؤنا، إذا أردنا أن يكون الله معنا ضد أعدائنا، إن أردنا أن نحيي تاريخنا العظيم فلا طريق إلا طریقاً واحداً ؛ أن نتابع سنة هذا النبي الكريم، لأن الله لا يحبنا إلا إذا اتبعنا سنة نبيه، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة آل عمران: ٣١]

أقول قولي هذا وأستغفر لله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيما فوز المستغفرين.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عـبدـه ورسولـهـ، صاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

كلمة بلاغية لأحد العلماء متعلقة بسيرة النبي الكريم :

أيها الأخوة الكرام، كلمة بلاغية لأحد العلماء متعلقة بسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول هذا العالم الجليل: وما ينبغي أن يعلم أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله رسوله صلى الله عليه وسلم في أعلىها، وخصه بزيارة سلامها، فإذا احتجت بحاله فرقـةـ منـ فـرـقـ الأـمـةـ التي تعرف تلك الخصال، وتقاسمـتهاـ علىـ فـضـلـهاـ عـلـىـ غـيرـهاـ أـمـكـنـ لـلـفـرـقـةـ الـأـخـرـىـ أـنـ تـحـتـجـ بـهـ أـيـضاـ عـلـىـ فـضـلـهاـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ الـغـزـاـ وـالـمـجـاهـدـوـنـ عـلـىـ أـنـهـ أـفـضـلـ الطـوـافـ اـحـتـجـ بـهـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ مـثـلـ ماـ اـحـتـجـ بـهـ أـوـلـئـكـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ الـزـهـادـ وـالـمـتـخـلـفـوـنـ عـنـ الدـنـيـاـ عـلـىـ فـضـلـهـمـ اـحـتـجـ بـهـ الـدـاخـلـوـنـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـوـلـاـيـةـ وـرـئـاسـةـ الرـعـيـةـ لـإـقـامـةـ دـيـنـ اللهـ وـتـمـكـيـنـ أـمـرـهـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ الـفـقـيرـ الصـابـرـ اـحـتـجـ بـهـ الـغـنـيـ الشـاكـرـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ أـهـلـ الـعـبـادـةـ عـلـىـ فـضـلـ نـوـافـلـ الـعـبـادـةـ وـتـرـجـيـحـهـ اـحـتـجـ بـهـ الـعـارـفـوـنـ عـلـىـ فـضـلـ الـعـرـفـةـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ أـرـبـابـ التـوـاضـعـ وـالـحـلـمـ اـحـتـجـ بـهـ أـرـبـابـ الـعـزـ وـالـقـهـرـ لـلـمـبـطـلـيـنـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ أـرـبـابـ الـوـقـارـ وـالـهـبـيـةـ وـالـرـزـانـةـ،ـ اـحـتـجـ بـهـ أـرـبـابـ الـخـلـقـ الـحـسـنـ وـالـمـزـاحـ الـمـبـاحـ الـذـيـ لاـ يـخـرـجـ عـنـ الـحـقـ،ـ وـحـسـنـ الـعـشـرـةـ لـلـأـهـلـ وـالـأـصـحـابـ.ـ إـذـاـ اـحـتـجـ بـهـ أـصـحـابـ الصـدـعـ بـالـحـقـ وـالـقـوـلـ بـهـ فـيـ الـمـشـهـدـ وـالـمـغـيـبـ،ـ اـحـتـجـ أـصـحـابـ الـمـدارـةـ وـالـحـيـاءـ بـهـ وـالـكـرـمـ أـنـ يـبـادـرـوـاـ الـرـجـلـ بـمـاـ يـكـرـهـهـ فـيـ وـجـهـهـ.

إذا احتج به المتورعون على الورع المحمود احتج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة تشريعه ويسروا وسهولتها. إذا احتج به من صرف عنانيته إلى إصلاح دينه وقلبه احتج به أيضاً من راعى إصلاح بدنـهـ وـمـعـيشـتـهـ وـدـنـيـاهـ فإـنـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـىـهـ وـسـلـمـ بـعـثـ لـصـلاحـ الـدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ.

إذا احتاج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن إليها، احتاج به من قام بالأسباب و وضعها مواضعها وأعطها حقها. إذا احتاج به من جاع وصبر على الجوع احتاج به من شبع و شكر على الشبع، إذا احتاج به من أخذ بالغفو والصفح والاحتمال احتاج به من نقم في مواضع الانتقام. إذا احتاج به من أعطى الله تعالى الله احتاج به من منع الله وعدى الله. إذا احتاج به من لم يدخل شيئاً لغد احتاج به من يدخل لأهله قوت سنة. إذا احتاج به من يأكل الخشن من القوت والأدم كخبز الشعير والخل، احتاج به من يأكل اللذين الطيب من الطعام. إذا احتاج به من سرد الصوم احتاج به من سرد الفطر، فكان يصوم حتى يقال: لا يفطر، وكان يفطر حتى يقال: لا يصوم. إذا احتاج به من رغب عن طيبات الحياة الدنيا احتاج به من أحب أطيب ما فيها وهو النساء والطيب. إذا احتاج به من لأن جانبه وخض جناحه لنسائه احتاج به من أدبهن، وألمهمهن الانضباط في معاملة الأزواج. إذا احتاج به من ترك مبشرة أسباب المعيشة لنفسه احتاج به من باشرها بنفسه، فأجر واستأجر، وباع واشترى، واستسلف وأدان. إذا احتاج به من يجترب النساء بالكلية في الحيض والصيام احتاج به من يباشر امرأته وهي حائض بغير الوطء، ومن يقبل امرأته وهو صائم. إذا احتاج به من رحم أهل المعاصي بالقدر، احتاج به من أقام عليهم حدود الله فقط السارق، ورجم الزاني، وجلد الشارب.

إذا احتاج به من أرباب الحكم بالظاهر احتاج به أرباب السياسة العادلة المبنية على القرائن الظاهرة، فإنه حبس في تهمة و عاقب في تهمة. أيها الأخوة الكرام، هذه بعض ما في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض شمائل النبي.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيما هديت، و عافنا فيما عافت، و تولنا فيما توليت، و بارك اللهم لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل من وليت، و لا يعز من عاديت، تبارك ربنا و تعالیت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحرمنا، أكرمنا و لا تهنا، آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا و ارضنا عنا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا و بين معصيتك، و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك، و من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، و متعنا اللهم بأسماعنا و أبصارنا و قوتنا ما أحيايتها، و اجعله الوراث منا، و اجعل ثأرنا على من ظلمنا، و انصرنا على من عادنا، و لا تجعل الدنيا أكبر همنا، و لا مبلغ علمنا، و لا تسلط علينا من لا يخافك و لا يرحمنا، مولانا رب العالمين، اللهم صن وجوهنا باليسار، و لا تبذلها بالإقتار فسائل شر خلقك، و بتلئي بحمد من أعطى، و ذم من منع، وأنت من فوقهمولي العطاء، و بيتك وحدك خزائن الأرض و السماء، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا

رب العالمين، اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله علينا فيما تحب، و ما زويت عنا ما نحب
فاجعله فراغاً لنا فيما تحب، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، و من الخوف إلا منك، و من
الذل إلا لك، نعوذ بك من عصال الداء، و من شماتة الأعداء، و من السلب بعد العطاء، مولانا
رب العالمين، اللهم بفضلك و رحمتك أعل كلمة الحق و الدين، و انصر الإسلام و أعز المسلمين،
و خذ بيده ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، إنك على ما تشاء قادر و بالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين